وأولى لكم أن تجحدوا فخره وتنسوا ذكره فقد كفاكم ما جرى من الفضيحة عليكم في قوله من قصيدة يمدح بها خليفة .

(إذا كان أملاك الزمان أراقما ... فإنك فيهم دائم الدهر ثعبان) .

فما أقبح ما وقع ((ثعبان)) وما أضعف ما جاء ((دائم الدهر)) ولقد أنشدت أحد ظرفاء الأندلس هذا البيت فقال لا ينكر هذا على مثل الجراوي فسبحان من جعل نسبه وروحه وشعره تتناسب في الثقالة وإن أردت الافتخار بالفرسان والتفاضل بالشجعان فمن كان قبلنا منهم في مدة المنصور بن أبي عامر ومدة ملوك الطوائف أخبارهم مشهورة وآثارهم مذكورة وكفاك من أبطال عصرنا ما سمعت عن الأمير أبي عبد ا ابن مردنيش وأنه كان يدفع في المواكب ويشقها يمينا ويسارا منشدا .

(أكر على الكتيبة لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها) حتى أنه دفع يوما في موكب من النصارى فصرع وقتل وظهر منه ما أعجبت به نفسه فقال لشيخ من خواصه عالم بأمور الحرب مشهور بها كيف رأيت فقال له لو رآك السلطان زاد فيما لك في بيت المال وأعلى مرتبتك أمن يكون رأس جيش يقدم هذا الإقدام ويتعرض بهلاك نفسه إلى هلاك جيشه فقال له دعني فإني لا أموت مرتين وإذا مت أنا فلا عاش من بعدي .

والقائد أبو عبد ا ابن قادس الذي اشتهر من شجاعته ومواقعه في النصارى وحسن بلائه ما صير النصارى من رعبه والإقرار بفضله في هذا الشأن أن يقول